حول إثبات نُبُوَّة سيدنا محمد ﷺ
من خلال إعجاز القرآن الكريم

الإمام الشيخ
عبد الله سراج الدين
رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(محاضرات حول مواقف سيدنا رسول الله ﷺ
مع العالم ـ موقف تعليم الكتاب)

من الصفحة ٣٣٧ حتى الصفحة ٣٥٥

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناء على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم مؤلفات الإمام
ـالمؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ـ أما بعد:

إنّ من جملة العلوم القرآنية التي بيّنها الله تعالى في القرآن الكريم عِلمَ الحجة والبرهان، فلقد جاء القرآن الكريم بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، الدالة على حقِّيَّة قضايا الإيمان. الإيمان بالله تعالى، والإيمان بسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والإيمان بالآخرة، والحشر والنشر، والجنة والنار وما هنالك. ولقد أثبت القرآن الكريم بالأدلة المعقولة المحكمة المبرمة، التي لا تُرد ولا تُنْقَضُ، بأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يحتمل الأمر غير ذلك، بل هو الحق.

ولقد أثبت القرآن هذا وقرّره مِن وجوه متعددة، حتى يَزداد المؤمن إيماناً، أو يزول شك المرتاب ويطمئن قلبه، وحتى يعلم الجاهل المنكر؛ ويَعترف فيعلم أنّ الحق إنما هو بالدليل الذي أقامه الله تعالى.

ولقد بيّن سبحانه موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بأنه بقي في قومه أربعين سنة، وقد نشأ أمّياً، وتربّى بينهم وهو أمّي، لا يقرأ ولا يكتب، وقومه كلهم يَعلمون هذا، وبقي فيهم أربعين سنة

لم يأتهم بآية ولا بشيء مِنْ هذا، ثم على تمام الأربعين يأتيه الوحي من ربِّ العالمين[1]، فينزل عليه جبريل عليه السلام، فيضمه ثلاث ضمات؛ فيها الإفاضات بالمعاني والمعارف، والعلوم والأسرار والأنوار، التي حملها جبريل عن رب العالمين، حتى يُفيضها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فكانت الضمات الثلاث عبارةً عن إفاضات لكلام الله على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعقله، وروحه، وفي المرة الأولى يقول له: «اقرأ. فيقول: ما أنا بقارئ» أي: ما تعلمت القراءة حتى أقرأ، ثم في الثالثة يقول له: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ أي: أنت ما تقرأ بسابق علم وقراءة؛ بل ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ الذي ربّاك بالتربية الخاصة، وعناك بالعناية الخاصة، فأنت تقرأ باسمه.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ أي: إن ربك الذي خلق الإنسان مِنْ عَلَقٍ معروف، وطوّره ونقله في مراحل من التخليق، حتى صار إنساناً فصيحاً، ذا حواس ومدارك، إنّ ربك الذي خلق هذا الإنسان وطوّره، قادر على أن يُطوّرك في المقامات، ويعلمك العلوم والمعارف، ويفيض عليك الأسرار والأنوار؛ وإن كنت أميّاً لم تتعلم القراءة والكتابة، ولم تأخذ عن معلم.

﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾. فإنَّ ربك الأكرم جاد عليك بكرمه وجوده، وعلّمك وأفاض عليك. ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ أي: إنْ

---

(١) حديث بدء الوحي رواه البخاري في أول الصحيح رقم (٣) عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

كان هو سبحانه قد علّم غيرك بواسطة المعلم والقلم والدراسة، فهو يعلّمك ويفيض دون واسطة القلم والدراسة، بل بواسطة جبريل عليه السلام، الذي نَزل عليك بكلام الله تعالى. وإن واسطة جبريل أعظم مِن واسطة القلم.

فأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قارئاً، عالماً، عارفاً، نبياً رسولاً، وصار يَقرأ على الناس كلام الله تعالى.

ولهذا لقَّن الله الحجّة على مَنِ ادّعى أنّ هذا القرآن هو من كلام البشر، أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ أي: قل يا محمد يا رسول الله قل للمنكرين: لو شاء الله ما تلوت عليكم هذا القرآن ولا دريتموه. ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦] أي: لبثت فيكم أربعين سنة لَم أقرأ عليكم ولا آية واحدة، فَتَعَقَّلوا وتدبروا مِنْ أين لي هذا القرآن المعجز الذي أتلوه عليكم؟ حقاً إنّه كلام الله النازل على رسول الله، وحقاً إن محمداً هو رسول الله الذي أنزل عليه القرآن.

ثم إنّ هذا القرآن النازل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كله آيات وشواهد تَشهد أنّ محمداً رسول الله، كما أنها تشهد أنّ الله حق، وتشهد أنّ هذا القرآن هو كلام الله، وإنّ حقيقة ذلك تأتي مِنْ وجوه متعددة من الإعجاز. وإن إعجاز القرآن على وجوه متعددة: **فهناك الإعجاز النصي البلاغي، وهناك الإعجاز الروحي، وهناك الإعجاز الخبري الغيبي، وهناك الإعجاز التشريعي، وهناك وجوه كثيرة من الإعجاز.**

أما الإعجاز النصي البلاغي : فقد تحدّى الله تعالى بنص القرآن فصحاء العرب وبلغاءهم، حيث انتهت الفصاحة والبلاغة إلى أوجها.

فقد أنزل الله هذا القرآن بلسان عربي مبين، وتحدّى عقلاء العرب وفصحاءهم وقال لهم أولاً: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ وهذا قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور:٣٣-٣٤] أي: فليأتوا بموضوع مِنْ مواضيع القرآن، ومثله في الفصاحة والبلاغة، فلم يقدروا ولن يقدروا.

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣].

ثم تحداهم بسورة واحدة؛ على أن يأتوا بمثلها: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: ٢٣] أي: إن كنتم صادقين في زعمكم أن هذا القرآن هو من أقوال محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن كلامه، فَأْتوا بسورة مِنْ مثله ما دام هو كلام بشر ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ أي: تستطيعوا ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ أي: ولن تستطيعوا ذلك إلى أبد الآبدين ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ أي: فاعلموا أنّ هذا القرآن كلام الله، وقد نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فآمنوا بالله وبرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تتوقوا عذاب الله وهو النار.

وهذا تحدٍ ملزم، وحجة مفحمة، تحمل الإنسان على القطع واليقين بأنّ هذا القرآن هو كلام الله، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولو كان كلام بشر لأتوا بمثله ولو سورة.

ثم سجّل عليهم العجز: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وهناك الإعجاز العلمي: وهو تناول القرآن للعلوم كلها.

وهناك الإعجاز الخبري: بإخباراته عما مضى وما هو آتٍ، وإخباراته عن أمور غيبية حاليّة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وجاء الواقع شاهداً بصدقها.

أما إعجاز القرآن الخبري عن مغيبات: فقد أخبر القرآن عن أمور غيبية ووقعت كما أخبر القرآن عنها. فمنها ما وقع فيما مضى، ومنها ما وقع في زمن نزول القرآن، ومنها ما سيقع إلى يوم القيامة، إلى ما وراء ذلك من العوالم.

ومن جملة وجوه الإعجاز الخبرية الغيبية: أن الله تعالى أخبر في القرآن الكريم بأنّه هو سيكفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر المستهزئين، وأنه سبحانه هو حافظ بنفسه لهذا الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، ويكفيه أمر أعدائه، ويحفظه من القتل.

كما أخبر أنّه حافظ لهذا القرآن إلى يوم الدين، فلا يتبدل ولا يتغير، ولا يزيد ولا ينقص. فهذه إخبارات قرآنية غيبية عن أمور هامة لها شأنها، فهل هي واقعية أم أنها تخلّفت؟؟

فلقد تكفّل سبحانه بعصمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من القتل، وحفظه من سِخْر المستهزئين، وتكفّل سبحانه أن يحفظ هذا القرآن لأنه رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد تحققت هذه الإخبارات الغيبية.

فلقد قال سبحانه في حفظه لهذا الرسول الكريم من القتل: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٤ـ٩٥].

وقال له: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٧ـ ٢١٩].

وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨]. إلى غير ذلك من الآيات التي يُخبر الله تعالى فيها عن حفظه وعصمته لهذا الرسول الكريم، إلى أن أنزل الله سبحانه في المدينة قوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] أي: إن الله عصمك ويعصمك من الناس، فلا ينالونك بقتل، أو اغتيال، أو غير ذلك.

ولقد تحققت هذه الإخبارات الغيبية، وحفظ الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وكفاه أذى المستهزئين، ومكر اليهود والمشركين، فلم يتمكنوا أن يقتلوه أو يغتالوه.

فمن جملة ذلك أنّه كان هناك جماعة من كفار قريش يستهزئون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لَمّا يرونه يُصلي أو يطوف حول الكعبة، وكان عددهم أربعة أو خمسة أو سبعة على خلاف الروايات[1] وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتأذى منهم، فشكا أمرهم إلى جبريل عليه السلام، وبينما كان صلى الله عليه وآله وسلم يطوف

(١) ينظر مجمع الزوائد (٤٦/٧ و ٤٧)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣١٦/٢).

حول الكعبة، فنزل جبريل عليه السلام إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء واحدٌ من هؤلاء المستهزئين وغمز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستهزئاً، فغمزه جبريل. وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشار لجبريل أن فلاناً من المستهزئين، فأومأ جبريل بيده إلى رأس المستهزئ. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما فعلت يا جبريل»؟ قال: كفيتكه يا محمد ـ أي: كفيتك أمره ـ.

ثم أقبل الثاني منهم وجعل يهزأ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأومأ جبريل إلى عينيه. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما فعلت يا جبريل»؟ فقال: كفيتكه.

فأقبل الرجل الثالث وجعل يهزأ، فأومأ جبريل إلى بطنه. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما فعلت يا جبريل»؟ قال: كفيتكه يا محمد.

ثم جاء الرابع وجعل يهزأ، فأومأ جبريل إلى أكحله ـ أي: أكحل قدمه ـ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما فعلت يا جبريل»؟ قال: كفيتكه يا محمد.

ثم جاء الخامس منهم، وجعل يهزأ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأومأ جبريل إلى أخمصِ قدميه ـ أي: بطن قدميه ـ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما فعلت يا جبريل»؟ قال: كفيتكه يامحمد.

أما الذي أشار جبريل إلى رأسه فخرج في رأسه قروح وكانت سبب موته عاجلاً.

وأما الذي أشار جبريل إلى عينيه فلما رجع جلس تحت شجرة،

وجعل يستغيث الناس، أن شوك الشجرة دخل في عينيه، فنظروا في عينيه فلم يجدوا شيئاً فيها، وهو يقول: إنّ الشوك في عينيه. فما لبث أن عميت عيناه.

وأما الذي أشار جبريل إلى بطنه، فانتفخ بطنه، وأصابه داءٌ ملأ جوفه بالماء، حتى جعل خرؤه وبوله يخرج من فيه حتى مات.

وأما الذي أشار جبريل إلى أكحل قدمه، فبينما كان يَبْري نبلاً له فأصاب بذلك السكين في أخمصه، ونزف دمه حتى مات.

وأما الذي أشار جبريل إلى أخمص قدميه، فركب دابته وهو في الطريق سقط في حفرة شوك فنزف دمه حتى مات.

وهكذا حقق الله قوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]. أي: الذين استهزؤوا وسخروا منك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا يدل على أنّ سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو رسول الله حقاً، وقد تكفّل الله بحفظه ووقايته.

ومن شواهد حقية الآيات التي أخبرت عن المغيبات، وَصِدْق خبرها، أنّ المشركين لَمّا حاولوا قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد الهجرة إلى المدينة، فخرج مِنْ بَيْن صفوف المشركين، ورماهم بكفٍ من تراب، وهو يقرأ أول سورة يـٰس إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ فلم يشعروا به، ولم يستطيعوا قتله، وباءت محاولتهم بالفشل[1] وحقق الله قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ

(١) ينظر الخبر في المسند (١/٣٤٨)، وكتب السيرة.

﴿ٱلنَّاسِ﴾. أي: عصمك ويعصمك أن ينالوك بقتل أو غير ذلك.

وفي هذا نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] فمكر الله بهم، وردَّ مكرهم عليهم، وحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أذاهم.

ولما توجّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة، ودخلا غار ثور، واقتصَّ المشركون آثار الأقدام حتى انتهى الأمر إلى غار ثور، فأرسل الله تعالى العناكب والحمام، فوقف المشركون على باب الغار، حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآنا.

فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[1] ثم انصرف المشركون، وحفظ الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من القتل والأذى.

ولما تابع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لحق بهم سراقة بن مالك بن جُعْشُم[2] ـ وكان المشركون قد جعلوا في النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة ناقة ـ فلما اقترب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا صلى الله عليه وآله وسلم فساخت أقدام فرسه في الأرض، ثم

---

(١) الخبر في المسند (١/ ٤)، وفي البخاري في أول كتاب فضائل الصحابة (٣٦٥٢)، وغيرهما.

(٢) الخبر في البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب /٤٤/ (٣٩٠٦).

توسل سراقة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقامت الفرس، وهكذا مرة ثانية وثالثة، حتى عاهد سراقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يدافع عنه، ثم أسلم وآمن بعد ذلك.

ولما وصل صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وكان فيها طوائف من اليهود، فكان صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ حذره منهم لئلا يغتالوه أو يمسوه بسوء، فكان صلى الله عليه وآله وسلم يأمر حراساً أن تحرسه، ثم بعدما تزوج بالسيدة عائشة رضي الله عنها بمدة قليلة، قالت السيدة عائشة: سَهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة ـ أي: وكان مكروباً صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهذا معنى السهر وهو عدم النوم لكرب أو همّ، وضده السَّمر.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة» ـ حذراً من اغتيال اليهود في أول الأمر ـ.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: فبينما نحن كذلك سمعنا صوت السلاح ـ أي: رجلاً معه سلاح يَجُرُّ به ـ فأتى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «من هذا» فقال: سعد بن أبي وقاص.

قال: «ما جاء بك»؟ قال: جئت لأحرسك، فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

وهكذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يأمر الصحابة أن يحرسوه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو (٢٨٨٥)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضل سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (٢٤١٠).

خوفاً من اغتيال اليهود، حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُحْرس حتى أنزل الله تعالى عليه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية [المائدة:٦٧] فأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسه الشريف من القبة ـ أي: البيت ـ ونادى في الحراس من الصحابة: «يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله تعالى»[1].

ولقد حاول اليهود مراراً أن يغتالوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن الله حفظه وحقق قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

فَمِنْ ذلك لما فَتَح صلى الله عليه وآله وسلم حصن خيبر، وانتصر على اليهود فيه، أهدى إليه بعضهم شاة مَصْليّة ـ مشوية ـ فيها سُمٌّ. فلما جلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومد يده للطعام، صاحت الشاة: إنها مسمومة. فألقى صلى الله عليه وآله وسلم اللقمة من فمه الشريف إلاّ أن أثر السم قد دخل إلى جوفه؛ ولم يضره لوقاية الله له صلى الله عليه وآله وسلم. وكان أحد الصحابة قد ابتلع لقمة من الشاة فاستشهد من ساعته.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اجمعوا لي مَن هاهنا من يهود» ـ أي: طائفة معينة منهم ـ فَجُمِعُوا. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقيّ فيه»؟

---

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير (٣٠٤٩).

قالوا: نعم يا أبا القاسم.

قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ أبوكم»؟ قالوا: فلان. فقال: «كذبتم. بل أبوكم فلان» وكانوا قد انتسبوا لغير أبيهم. فقالوا: صدقت. فقال لهم: «مَنْ أهل النار»؟. قالوا: نكون فيها يسيراً ـ أي: العصاة منا ـ ثم تخلفوننا فيها. وهكذا كما أخبر الله عنهم: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اخسؤوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبداً».

ثم قال: «هل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألتكم عنه»؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: «هل جعلتم في هذه الشاة سماً»؟ قالوا: نعم. قال: «ما حملكم على ذلك»؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك، وإن كنت نبيّاً لم يضرك[1]. ولقد تبين لهم أنه صادق وأنه رسول الله حقاً، إذ لم يضره السم إلا أنهم لم يؤمنوا عناداً وإعراضاً.

ولما ذهب صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم إلى يهود بني النضير، ليكلمهم في دية مقتول. رحّبوا به وقالوا: مرحباً يا أبا القاسم، وأجلسوه وأكرموه وحوله الصحابة. ثم إنهم أوعزوا إلى رجل منهم أن يعلوَ السطح ويرميَ بحجر كبير على

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٤٥١)، والبخاري في كتاب الجزية، باب إذا غدر المشركون... (٣١٦٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه. وأبو داود في كتاب الديات، باب فيمن سقى رجلاً سماً... (٤٥١٠) عن سيدنا جابر رضي الله عنه. و(٤٥١٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه. وهو في دلائل النبوة للبيهقي (٤/٢٥٦).

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعلمه بذلك، فنهض صلى الله عليه وآله وسلم من مجلسه فوراً، ورجع مع أصحابه.

ثم إنه صلى الله عليه وآله وسلم أجلى بني النضير من المدينة لخيانتهم ومكرهم[1].

ونزل صلى الله عليه وآله وسلم وقت الظهيرة في غزوة ذات الرقاع، نزل إلى ظل شجرة وقد تباعد عنه أصحابه، وانتشروا تحت الأشجار طلباً للراحة، وعلّق صلى الله عليه وآله وسلم سيفه واضطجع، فإذا بأعرابي من المشركين تسلل خفية حتى أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخذ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتلّه، ووقف وقال: مَنْ يمنعك مني يا محمد؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الله». فأعاد المشرك قوله ثلاثاً، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له: «الله»، فسقط السيف من يد المشرك، فقام صلى الله عليه وآله وسلم وأخذ السيف ورفعه فوق المشرك وقال: «مَن يمنعك مني»؟ فقال: يا محمد كن خير آخذ ـ أي: خير آخذ للسيف ـ فنادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَنْ حوله من الصحابة فجاؤوا إليه، فأخبرهم خبر الأعرابي وهو جالس إلى جنبه، لَمْ يعاقبه[2].

---

(١) الخبر في الفتح (٣٢٩/٧) وما بعدها، وسيرة ابن هشام، وطبقات ابن سعد (٥٧/٢) وغيرها.

(٢) الخبر في صحيح البخاري كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع =

وهكذا تجد أن خبر القرآن: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ قد تحقق، وعصم الله رسولَه صلى الله عليه وآله وسلم مِن القتل والاغتيال. وهذا يدل على أنّ هذا القرآن هو كلام الله على الحقيقة، نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد تكفّل سبحانه أن يحفظ هذا القرآن النازل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبر عن ذلك، وجاء الواقع يُثبت صدق ما أخبر عنه القرآن، فلم يجرِ على القرآن أيّ تبديل أو تحريف، أو زيادة أو نقص، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقد سمّى سبحانه القرآن بالذكر لأنّ فيه التذكير، وفيه ذكر كل شيء: مما فيه سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ولقد تحقق هذا الخبر الغيبي، وحفظ الله تعالى القرآن عن التحريف والتبديل، والزيادة والنقصان، وهذا أمر مشهود لكل إنسان، وقد انتقل لنا هذا القرآن بقراءاتِه العشر متواتراً محفوظاً كما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسيحفظه رب العالمين إلى يوم الدين، وذلك لأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم المرسلين، ولا نبي ولا رسول بعده، فاقتضت حكمة الله تعالى

= (٤١٣٥ ـ ٤١٣٦)، وصحيح مسلم في كتاب الفضائل، باب توكله ﷺ على الله تعالى (٢٢٨١)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/٣٧٣)، وما بعدها.

أن يحفظ هذا القرآن إلى يوم الدين، لتبقى رسالة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم الدين، وفي هذا يقول تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ [الأنعام: ١٩] أي: وقل لهم يا محمد: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ وهم الذين في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ أي: لأنذر بهذا القرآن مَن بلَغه هذا القرآن إلى يوم الدين. وهذا يدل على أنّ الله حافظ لهذا القرآن من التغيير والتبديل.

وفي هذا يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «من بلغه القرآن فقد شافهته»[1] أي: مَنْ بلغه القرآن فكأنه رآني وتلوت عليه القرآن، وبلّغته الدعوة والرسالة.

أما الكتب السماوية السابقة فلم يتكفل سبحانه أن يحفظها بنفسه، بل وكّل حفظها إلى العلماء والأحبار كما قال تعالى: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤] فلم يستطيعوا ذلك، وجرى عليها التبديل والتغيير.

أما القرآن فقد تكفّل سبحانه بنفسه أن يحفظه: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ولقد حفظ الله تعالى هذا القرآن في محافظ لا يجري عليها غرق أو حَرق، ولا تبديل ولا تغيير فقال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٣] فأوّل محفظة جمعت القرآن هي

---

(١) عزاه في الدر المنثور إلى ابن مردويه، وأبي نعيم، والخطيب، عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الخزانة الأولى الجامعة لجميع الحقائق والمعاني القرآنية، وعن قلبه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم أخذت القلوب، وحفظت القرآن كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

فحفظ الله هذا القرآن في صدور القرّاء والعلماء، وحفظ نصوصه في المصاحف، إلا أنّ العبرة لحفظ الصدور، إذ لو أنّ هذه المصاحف التي على وجه الأرض: أُغرقت أو أحرقت فإنّ القرآن لا يُمحىٰ، بل هو في صدور الحفاظ والعلماء، تكفّل الله بحفظه وبيانه. فالحفاظ يحفظون نصوصه، والعلماء يبيّنون معانيه وأحكامه. وهناك مَن يحفظ قسماً منه، وهناك من يحفظ أكثر، وهناك من يحفظ القرآن كله.

ولابد في كل زمن من حفاظ وعلماء يحفظون القرآن ويبيّنون أحكامه ومعانيه، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله»[1] أي: حتى تقوم الساعة.

وجاء في الحديث كما في صحيح مسلم[2]: «وقال ـ الله تبارك وتعالى ـ: إنما بعثتك لأبتليك» أي: أختبرك بنشر الدعوة وتبليغ

---

(١) رواه البخاري في آخر كتاب المناقب (٣٦٤٠)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب /٥٣/ (١٩٢٠) عن سيدنا ثوبان وسيدنا المغيرة رضي الله عنهما، وله طرق متعددة في المسند وغيره.

(٢) في كتاب صفة الجنة ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة (٢٨٦٥) عن سيدنا عياض المجاشعي رضي الله عنه.

الرسالة «وأبتلي بك» أي: لأختبر العالم في استجابتهم لك «وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظانَ» الحديث. أي: أنزلت عليك كتاباً محفوظاً في الصدور إلى يوم الدين؛ وإن مُحي من السطور.

ولقد أكرم الله تعالى هذه الأمة المحمدية بأن أعطاها حفظ القرآن ظاهراً، بخلاف الأمم السابقة إذ لم يكونوا يستطيعون حفظ كتبهم ظاهراً، وإنما يحفظون أجزاءً منها. أما أنبياؤهم ورسلهم فقد كانوا يحفظون الكتب النازلة عليهم.

وفي هذا يقول صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الذي رواه أبو نعيم[1] والبيهقي[2]: «لما فرغت مما أمرني الله به من أمر السماوات والأرض» أي: ليلة الإسراء والمعراج «قلت يا رب: إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد أكرمته: جعلت إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً، وسَخَّرْتَ لداود الجبال، ولسليمان الريح والشياطين، وأحييت لعيسى الموتى فما جعلت لي؟

فقال الله تعالى لي: أوَ ليس قد أعطيتك ما هو أفضل من ذلك كله يا محمد؟! إني لا أُذكر إلا ذُكرتَ معي» وهذا قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي: رفعت لك ذكرك فوق كل مذكور من الأنبياء، وهذا ما تجده في كثير من الآيات القرآنية، وفي التشهد، وفي الأذان.

قال: «وجعلت صدور أمتك أناجيل» أي: مصاحف «يقرؤون القرآن ظاهراً؛ ولم أعطها لأمةٍ قبلك.

---

(١) كما في تفسير ابن كثير عند تفسيره لسورة الانشراح.

(٢) في الدلائل (٢/٤٠٢).

وأعطيتك كنزاً من كنوز عرشي: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» أي: إن من جملة عطايا رب العالمين لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن أعطاه كنزاً ـ وهو الشيء المكنوز المخبوء ـ من كنوز العرش وهو: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وهذه الكلمة: فيها معنى التبرؤ من الحول والقوة إلى حول الله وقوّته.

وجاء في الحديث عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: «يا عبد الله بن قيس» وهو اسم سيدنا أبي موسى الأشعري «قل: لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة»[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه: «يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة».

قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه»[2].

والكنز هو: الشيء المكنوز المستور عن جماعة؛ والمخبوء لجماعة أخرى، وقد كنز الله تعالى هذه الكلمة لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة (٦٣٨٤)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٢٧٠٤)، وأصحاب السنن.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١/٥١٧)، وقال: صحيح الإسناد.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ـ لـ قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما ـ: « ألا أدلك على باب من أبواب الجنة»؟؟ ـ كما في رواية الحاكم[1] ـ. قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله» أي: إن أنت أكثرت منها فُتِحَ لك ذلك الباب، وهو من أبواب الجنة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله كان ـ أي: هذا القول ـ دواءً من تسعة وتسعين داء أيسرُها الهمُّ»[2].

أي: إن أهمَّك أمر مِنَ الأمور المعاشية أو الدينية، أو أيّ أمر كان؛ فأكثر مِنْ: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ فَبِها يُفرّج الله عنك، وييسّر عليك الأمور، لأن فيها الالتجاء إلى الله تعالى، والتبرؤ من حولك وقوّتك إلى حوله وقوته سبحانه.

ونسأل الله تعالى التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

---

(١) المستدرك (٤/٢٩٠)، وينظر في المسند للإمام أحمد (٣/٤٢٢)، وسنن الترمذي كتاب الدعوات، باب في فضل لا حول ولا قوَّة إلا بالله (٣٥٧٦).

(٢) رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٠/٩٨)، والحاكم في المستدرك (١/٥٤٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.